

موروثٌ أم منهجيٌّ؟

من أصعب الأسئلة وأكثره تخويفاً لنا هو هذا السؤال عندما نواجه به أنفسنا فيما يتعلق بإيماننا بالأشياء .

"إيماني بهذا الشيء، هل هو إيمانٌ موروثٌ أم إيمانٌ منهجيٌّ؛ جاء عن طريق اتباع منهجٍ معتبر للوصول للحقائق والوثوق بها؟"

كثيرون من البشر يولدون ويموتون وهم يؤمنون بالكثير من الأشياء دون أن يوجّهوا هذا السؤال لأنفسهم قط؟

بعض الناس يواجهون أنفسهم بهذا السؤال ولثقله على أنفسهم ولخوفهم من نتائجه يسارعون - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - بالبحث عن الإجابة الآمنة وهي "إن إيماني منهجيٌّ" وتحت هذا الضغط النفسي الشديد والرغبة الشديدة في تلك الإجابة يقعون في أكثر أنواع المغالطات شيوعاً وهي مغالطة "الانحياز التأكيدي" Bias Confirmation حيث يبدوون بالنظر بعينٍ واحدة ويفلترون المعلومات الكثيرة الواردة ولا ينتقون منها فقط إلا ما يؤدي إلى النتيجة المرغوب بها سلفاً، والتي تثبت حقانية إيمانهم الموروث. إذن فهذه الفئة قد تسأل نفسها هذا السؤال ولكنها واقعاً لا تستفيد منه إلا من الناحية النفسية حيث أنها تقنع نفسها - مُخادعةً - بأنها قد قامت بما تقتضيه المنهجية في الوصول إلى لحقائق.

القليلون جداً فقط هم من يجرؤون على مواجهة أنفسهم بهذا السؤال، ثم يعيدون تقييم إيمانهم الموروث بإخضاعه لمعايير البحث المنهجي، ثم يقبلون نتائج إعادة تقييمه مهما كانت تخالف إيمانهم السابق (الموروث) .

هؤلاء فقط هم من يستطيعون تحطيم أغلال الوهم، وهُم مَن يصلون للحقائق. أما الآخرون فيدورون في ذات الحلقة المفرغة التي دارت فيها معظم أجيال البشرية السابقة والتي استهلكت طاقاتهم في الوهم وحرمتهم من الحقيقة ومنافعها.

